البناء المقلوب والاصالة المفقودة

الشيء الذي لم يفهمه البعض بعد ، هو انه ليست للبنان سياسة في اي حقل ، حتى في حقل السياسة .

ليست له سياسة مالية او اقتصادية او نقدية ذات قواعد يبني عليها ويحاسب على اساسها .

وليست له سياسة انمائية او تخطيطية ذات مناهج او برامج تلقي الضوء على ما يعمل ، او ينوي ، وتهديه سواء السبيل فيما هو مقدم عليه .

والمقصود بانه ليست له سياسة هو انه لا يرسم هذه السياسة . لذلك ترك نفسه ينساق في سياسات غيره.

ولبنان ، في ذلك ،شانه شان الدول المتخلفة ، المسماة دولا نامية ، وقع في شرك تلك السياسات ولن يفلت ، ولكنه يختلف عنها في انه وقع دون مقاومة ، او ربما وقع بارادته ، او على الاصح بارادة الطبقة الحاكمة فيه .

فالسياسات والمناهج الذاتية ، التي غاب لبنان عن ميدانها ، قد لا تقي صاحبها من الوقوع فريسة للوحش الاقتصادي الرهيب ، ولكنها بكل تاكيد تمنح صاحبها شرف المقاومة والوقوف موقف الند ولو لحظة من كبرياء.

ونظرة ثاقبة الى صلب نظامنا تدلنا بوضوح وشفافية على مرامي هذا الواقع : برلمان لا يمثل الشعب ، ونقابات لا تمثل العمال ، وحكم لا يمثل الارادة الوطنية، ومؤسسات لا تحمل من هذا البلد الا الاسم او السجل التجاري ، ومواطنون لا يحملون منه الا بطاقة الهوية ولا يلقون منه الا التعسف ام باي شكل آخر .

والمهم في ذلك ليس اننا صرنا في هذا البناء المقلوب ، بل كوننا صرنا فيه دون ان نعيه ، ودون ان نفهم الاسباب او ندرك النتائج .

وهكذا ، عاد لبنان كما كان ، لا يحمل من ذاته اية اصالة الا الاسم .

سليمان الفرزلي